# الجغرافيا السياسية وجدلية حركات المعارضة ضد الدولة العباسية " العلويين والفاطميين أنموذجا "


## إعداد

د. مصطفى على إبراهيم دويدار



مجلة الدراسات التربوية والانسانية. كلية التربية. جامعة دمنهور

المجلد الخامس عشر- العدد الثالث- لسنة2023

# الجغرافيا السياسية وجدلية حركات المعارضة ضد الدولة العباسية
## العلويين والفاطميين أنموذجاً

**د. مصطفى على إبراهيم دويدار**

الجغرافيا والتاريخ صنوان لا يفترقان وشريكين رئيسيين ، فالتاريخ هو الحدث والجغرافيا هى المسرح الذى شهد حدوث هذا الحدث ، والجغرافيا هى العلم المساعد الأول لدراسة علم التاريخ ، وهى ذات أثر كبير فى توجيه مصائر النوع الإنسانى ، فهى التى أطعمت الإنسان وأنشأته وعينت واجباته وأوجدت المصاعب والعقبات الطبيعية التى تشحذ قريحته للتغلب عليها والتأثير بدوره فى البيئة التى يعيش فيها والعمل على إستغلالها ، وللظواهر الجغرافية المختلفة أثر فى الإنسان وبالتالى فى التاريخ ..، والموقع الجغرافى يؤثر فى تكوين الإنسان ولغته ونبرته وصوته ولون بشرته وعينيه وشعره وأساطيره وأديانة وملكاته العقلية .... وحياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية وسير معاركه وحربه وسلامه [1] ، وكما أن التاريخ نتيجة لأعمال البشر فالجغرافيا تفيدنا بأن الأحداث تحدث بالشكل أو الأسلوب الذى تحدث به بسبب عوامل أخرى مسيطرة ، وأن للعوامل الجغرافية أثر فى مجرى التاريخ [2] ، والجغرافيا السياسية لا تختلف عن بقية فروع الجغرافيا فى اهتمامها من حيث المبدأ ودراسة العلاقة بين الانسان وبيئته بمقدار ما يتأثر الإنسان بالبيئة الطبيعية ومقدار قدرته على التأثير فيها وتغيرها أو التلائم معها ، وصولاً لدراسة العلاقة بين الإنسان وبيئته الطبيعية من تأثير على قيمة الدولة السياسية وعلى النشاط الاقتصادى ، ومقدار ما يستفيده الإنسان من مزايا المعطيات الجغرافية كالموقع الاستراتيجى وغيرها والقدرة على التأثير السياسى [3] .

---

([1]) حسن عثمان : منهج البحث التاريخى ، دار المعارف ، الفاهرة ، د.ت ، ص 32 والتى تليها .

([2]) جيمس فيرجريف : الجغرافيا والسيادة العالمية ، ترجمة : على رفاعة الأنصارى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1956، ص 7 والتى تليها .

([3]) محمد حجازى محمد : الجغرافيا السياسية ، القاهرة ، 1996 ، ص10 .

وفى واقع الأمر فإن الدراسة التى نحن بصددها تناقش دور عوامل الجغرافيا السياسية أو الجيبولوتيكا فى تحديد خط السير التاريخى لحركة المعارضة الهدامة فى تاريخ الدولة العباسية وتحديداً تمردات العلويين والفاطميين ، فقد كان العباسيين في نظر العلويين وشيعتهم مغتصبين للخلافة، كما كان الأمويين من قبلهم، لذا نجد أنه كلما قام خليفة عباسي قام علوي يدعو لنفسه بالخلافة[4]، وقد تصدت مئات الدراسات للتأريخ لهذه القضية إلا أن الزاوية التى يلجها الباحث هنا لم تلفت الأنظار من قبل وهى استطلاع دور الجغرافيا السياسية فى سيرورة هذه العلاقة بين العباسيين ومعارضيهم من الشيعة العلويين وصولاً للفاطميين ، وكيف أثرت الأبعاد الجغرافية فى حسم العديد من قضايا الصراع بين الطرفين وترجيح أحدهما على الآخر فى العديد من النحظات التاريخية .

**الجغرافيا السياسية بين الطائفية وعصبية الأمصار والتكتلات السكانية المعارضة :**

بطبيعة الحال فإن وجود تكتلات سكانية معارضة فى العاصمة السياسية للعباسيين قد شكل تحدى كبير للدولة العباسية ، وتتأتى هذه الخطورة كونها حاضرة الخلافة وواسطة العقد وميدان الصراع ، فمن يبسط أيدلوجيته على بغداد يكون هو الفائز في الصراع المذهبي واللا منقطع بين الطرفين ، وفي الحقيقة فلقد تقاسمت الحركات المذهبية بغداد ، فتمركزت فيها الفرق والحركات الدينية والفكرية ، ولكن التيارين الرئيسين حينذاك كانا السنة والشيعة، وكان لكل منهما أنصاره ومؤيدوه في بغداد[5] فتقاسمها الحنابلة والشيعة ، فضلاً عن وجود مالكية وأشعرية ومعتزلة، بالإضافة الى وجود عناصر سنيه ببغداد يفرطون في حب معاوية[6] وعلى الجانب الآخر كانت

---

[4] سيدة الكاشف: مصر في فجر الإسلام " الهيئة العامة للكتاب ، 1999 ، ص 148.

([5]) إبراهيم الحيدري : تراجيديا كربلاء " سوسيولوجيا الخطاب الشيعي " دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى ، 1999م ، ص 54 .

([6]) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ، 1877، ص 131 ؛ هاشم عيسى : الحياة الاجتماعية والفكرية في العراق منذ 334 هـ حتى نهاية القرن الخامس الهجري ، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية دار العلوم جامعة القاهرة ، 1995، ص 809 ؛ محمد فياض : التشيع الشعبى فى العراق ، دار روافد للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2016 ، ص 42 والتى تليها .

بغداد أيضاً موطناً للتشيع الغالي حيث ظهر بها سب الصحابة والسلف لدرجة أثارت حفيظة البعض، فكان هناك من يضطر لترك بغداد والرحيل عنها لأجل تفشي هذه الظاهرة هناك[7] .

كما انتشرت تكتلات سكانية معارضة أخرى في الجانب الشرقي من بغداد والمسمى بجانب الرصافة وسكنوا بصورة خاصة في حي باب الطاق[8] رغم ذلك لم يكن انتشارهم في الجانب الشرقي قلباً لميزان القوى حيث ظلت الكثافة سنية أكثر حتى سمي الجانب الشرقي من بغداد باسم " كنانة السنة "[9] .

وفى الحقيقة وحسبما عبر أحد المستشرقين " بأن إعطاء تعداد لفرق المسلمين آنذاك هو عمل أكثر صعوبة ، فهناك عدة أحياء للسنة في الضفة الغربية ، هي باب الشام ، والقطيعة ، وباب الكوفة ، وباب البصرة ، والمدينة المستديرة المهجورة ، وباب محول ، وتونا والشرقية ونهر الطابق والقلائيين، وباب حرب، واثنان فقط للشيعة وهما الكرخ والكاظمية لكنها تشكل نحو ثلث سكان هذه الضفة ، وتحول الحي الرابع وحده إلى التشيع من بين الأحياء كما سيطر المذهب الحنفي على الضفة الشرقية[10] وهكذا احتل الحنابلة موقعاً استراتيجياً ، فضلاً عما كان لهم في المدينة من أحياء مركزية شرقاً سوق يحيى قبالة سوق الطاق الشيعي ، وغرباً باب البصرة ، وسوق القلائين ضد الكرخ الشيعي[11] ومن المعروف أن سوق القلائيين نسبة إلى قلائي السمك وهي من المناطق الشعبية المكتظة ، وقد كان لهذه المنطقة دوراً في الفتن الطائفية فكانت تزيد

---

([7]) ابن كثير : البداية والنهاية، تحقيق : عبدالله بن عبدالمحسن، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1998م ، ج11، ص 184؛ خالد علال : التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي – خلال العصر الإسلامي – مظاهر – آثاره – أسباب – علاجة ، دار المحتسب، 2008، ص 20 .

([8]) إبراهيم الحيدري : تراجيديا كربلاء ، ص 54 .

([9]) البغدادي : تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت ، ج1 ، ص 81 .

([10]) ماسنيون : الآم الحلاج شهيد التصوف الإسلامي ، ترجمة الحسين حلاج ، قدمس للنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الأولى 2004 ، ص 229 .

([11]) بنسالم حميش: التشكلات الأيدلوجية في الإسلام " الاجتهادات . التاريخ" ، دار المنتخب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1993 ، ص 100 .

في اضطراب الأمن[12] مما جعل أحد الباحثين يعبر عن ذلك قائلاً " وبغداد التي بدأ يهدها الصراع المذهبي، والعقائدي ، والسياسي، والاجتماعي ، والاقتصادي[13] .

ومن المواضع الجغرافية التى شكلت تحدياً سكانياً كبيراً للعباسيين هى مدينة الكرخ [14]تلك المدينة التى تقع تلك المدينة ذات الأغلبية الشيعية ، والتي كانت بؤرة لمعظم الفتن والصدامات التي حدثت بين السنة والشيعة في عصر الدولة العباسية [15] ويعبر ياقوت الحموي عن ذلك قائلاً " إن أهل الكرخ كلهم شيعة إمامية لا يوجد فيهم سني البتة ..." [16] أو كما ذكر البغدادي أيضاً بأنه كان " يسكنها الرافضة دون غيرهم " متحدثاً عن غالبية مواضع الكرخ أو كما تحدث بلفظة أكثر حدة عندما قال" الكرخ مفيض السفل"[17] أو أنها أصل كل فساد حسبما عبر آخر[18] ووصفها آخر قائلاً" : أهل الكرخ طائفة نشأت على سب الصحابة وليس للخلافة عليها أمر " [19]

---

([12]) هاشم عيسى : الحياة الاجتماعية والفكرية في العراق ، ص 484 .

([13]) محمد رجب النجار: حكايات الشطار والعياريين في التراث العربي ، عالم المعرفة . الكويت 1981 ، ص 79 .

([14]) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، 1977، ج4 ، ص 448 ، مجدي سمير : الدور الاجتماعي للشيعة في العراق في عصر سلاطين السلاجقة (447- 590هـ/ 1050- 1193م) رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية دار العلوم – جامعة القاهرة 2007م ، ص 111 ؛ محمد فياض : التشيع الشعبى ، ص 45 والتى تليها .

([15]) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج4 ، ص 448؛ البغدادي: تاريخ بغداد ، ج1 ، ص 81؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2008، مصورة عن الطبعة البولاقية الأولى ، ج5، ص 47 .

([16]) معجم البلدان ، ج4 ، ص 448 .

(17) تاريخ بغداد ، ج1 ، ص 81 .

(18 ) الذهبى : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت والتي صدرت من 1990، 2000 .، ج 48 ، ص 23 .

(19) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج5 ، ص 47 .

لقد كانت الكرخ إحدى أهم النقاط الطائفية المتخاصمة مع الكيان الآخر، لدرجة أنها في بعض الفترات كان أهلها يقومون ببناء سور يحيط بهم ترسيخاً لمبدأ الجيتو المجتمعي مثل ما حدث في سنوات (402هـ/ 1011م) [20] و(441هـ / 1049م) [21] و(481هـ/1088م) [22]

ولقد تعاظم دور الكرخ وقت أزمة البساسيري الذي حاول عمل انقلاب شيعي على الخليفة العباسي وإعلان الخطبة للخليفة الفاطمي الشيعي، ولم يجد البساسيري موضعاً أفضل من الكرخ ليبدأ به ويضع خطته فيه من أجل الحصول على دعم وتأييد بني مذهبه من الشيعة ، فلم يلاق أي صعوبات في السيطرة على هذا الجانب وفي إعلان الخطبة باسم الخليفة الفاطمي من منبر جامع الكرخ وذلك سنة (450هـ / 1058م) [23] وحسبما عبرت إحدى النصوص عن ذلك قائلة :

" فمال إلى البساسيري أهل باب الكرخ وفرحوا به لكونهم رافضة ، البساسيري وخلفاء مصر أيضاً رافضة ، فانضموا إلى البساسيري وتشفوا من أهل السنة وشمخت أنوف المنافقين الرافضة وأعلنوا بالآذان بحي على خير العمل"[24]

حتى أنه لما كان يجتاز بحي الكرخ كانوا ينشرون عليه أكياس الدراهم والدنانير[25] كشكل من أشكال الفرحة الشعبية نكاية في الجانب المجتمعي الآخر، وفي نفس ذلك المنحى أيضاً وبعد اشتداد شوكة البساسيري قام أهل الكرخ بنهب باب البصرة من السنة تشفياً منهم[26]

---

([20]) أبي الفدا : المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، د. ت ، ص 170 .

([21]) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق : محمد عبد القادر عطا وزميله ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1992م ، ج5، ص 309 .

([22]) ابن الجوزي : المنتظم ، ج16، ص 277 .

([23]) عبدالجبار ناجي : ثورة البساسيري في بغداد 447– 451هـ/ 1055– 1059، بحث منشور في مجلة كلية الآداب – جامعة البصرة، السنة الرابعة، العدد 5 ، د. ت ، ص 70 .

([24]) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج5 ، ص 428 .

([25]) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق، اختصار الشيخ الإمام الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني، دار الآفاق الجديددة، بيروت، الطبعة الثالثة 1980 ، ص 37 .

([26]) ابن الجوزي : المنتظم ، ج16 ، 32 .

وعلى جانب آخر فقد كانت مدينة الكوفة من أوائل المدن التى شكلت تحدياً سكانياً مناوئاً للسلطات العباسية والتى مالت بشدة تجاه المعسكر العلوى المعارض حيث كانت منبت الفكرة ، بالإضافة إلى ما سبق جاءت مدينة الحلة لتشكل تحدى آخر وهي المدينة التي تقع بين بغداد والكوفة ، وحسبما عبرت النصوص المتاحة أن أهلها كلهم من الشيعة الاثنى عشرية[27] أو كما عبر آخر أنها" كانت محط رجال الرافضة .." [28] أو كما أطلق عليها البعض أيضاً من أنها الكوفة الصغرى لكثرة ما فيها من التشيع[29] ويبدو أن تشيعهم كان فيه غلو لدرجة قد تصل إلى حد قتل من يظهر أنه من السنة في مدينتهم[30] ولا يعني ذلك أننا نعدم وجوداً سنياً في المدينة ، إلا أن السواد الأعظم منها آنذاك من الشيعة وتحديداً الإثنى عشرية ، ويبدو أن اضطراباً مذهبياً كان مثاراً في المدينة وهو ما رآه ابن بطوطة بعينه وها هو يعبر عن ذلك بقوله " وأهل هذه المدينة كلها إمامية اثنى عشرية وهم طائفتان إحداهما تعرف بالأكراد والأخرى تعرف بأهل الجامعيين والفتنة بينهم متصلة والقتال قائم...،أضف إلى ما سبق فقد تجلت بعض مظاهر التشبع الشعبي التي نشأت حول أحد المشاهد الموجودة بالمدينة والتي عرفت بمشهد صاحب الزمان ، فكان يخرج في كل ليلة مائة رجل من أهل المدينة عليهم السلاح وبأيديهم سيوف مشهورة فيأتون أمير المدينة بعد صلاة العصر فيأخذون منه فرساً سرجاً أو بغلة ، كذلك ويضربون الطبول والأنفار والبوقات أمام تلك الدابة ويتقدمها خمسون منهم ويتبعها خمسون آخرون عن يمنها وشمالها و يقولون "باسم الله يا صاحب الزمان باسم الله أخرج فقد ظهر الفساد وكثر الظلم وهذا أوان خروجك فيفرق الله بك بين الحق والباطل، ولا يزالون كذلك وهم يضربون الأبواق والأطبال ، والأنفار إلى صلاة المغرب منتظرين ظهور المهدي المنتظر..."[31] ويمكن

---

([27]) ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المطبعة الأزهرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1928م ، ص 116 ، ص 138 .

([28]) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج5، ص 113 .

([29]) مجدي سمير : الدور الاجتماعي للشيعة ، ص 115 .

([30]) ابن بطوطة : الرحلة ، ص 116 .

([31]) ابن بطوطة: الرحلة ، ص 139 .

أن نضيف إلى ما سبق مدينة النجف [32]الأمر الذى جعل ابن بطوطة يقول بأن " أهلها كلهم شيعة "[33] .

**معسكر الحجاز كسبب جغرافى من أسباب فشل حركة محمد النفس الزكية :**

كانت حركة محمد النفس الزكية إحدى الحركات العلوية المبكرة المناوئة للدولة العباسية فى عصر الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور ، وبطبيعة الحال فإن الباحث هنا لن يكرر ما تمت كتابته عن هذه الحركة الشهيرة التى كُتبت عنها العديد من الدراسات ولكن ما يعنينا هو الدور الجغرافى فى هزيمة هذه الحركة ، فقد كان المعسكر الذى اتخذه محمد النفس الزكية هو المدينة المنورة ، والحقيقة فإن وضع محمد في المدينة كان سيئاً للغاية فالحجاز من الناحية الحربية لا تصلح للخروج، فهى آنذاك البلد القاحل الفقير التي تعتمد على مصر وغيرها من الغلات والمؤن وكان المنصور قد أمر بقطع المؤن الواردة له عند ردم خليج أمير المؤمنين، أضف إلى ذلك أن نوع التحصين الذي اعتمد عليه محمد كان قد عفى عليه الزمن حيث أنه حفر خندقاً حول المدينة ويقال أنه كان نفس الخندق الذي حفره الرسول صلى الله عليه وسلم سابقاً وذلك تأسياً به، ولكن الزمن كان قد تغير واستراتيجية الحرب كانت قد تطورت، وظهر ذلك جلياً بعد فشل المراسلات بين عيسى بن موسى ومحمد النفس الزكية، لذا قرر الأول الدخول مباشرة في العمليات العسكرية واستطاع الجيش العباسي أن يضع ممرات على الخندق ونجح في عبوره، ووجدوا جيش محمد يحارب بالطريقة القديمة، وهي طريقة الصف التي أثبتت فشلها، فلو هزم جزء من الصف إنهار الصف كله، فضلاً عن أن محمد قال لأتباعه قبل بدء القتال "أنهم في حل من بيعته، فمن يريد القتال فليبقى، ومن لم يشأ فليذهب" فتخلى عنه الكثيرين فوهنت قوته لذلك واختل أمره وانتهى الأمر بهزيمته وقتله، وحملت رأسه إلى الخليفة أبو جعفر المنصور ودفن جسده بالبقيع، وكان

---

([32]) اسحق النقاش: شيعة العراق، ترجمة: عبدالإله النعيمي، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا، بيروت، الطبعة الأولى، 1996، ص 38 ؛ محمد فياض : التشيع الشعبى ، ص 63 والتى تليها .

([33]) رحلة ابن بطوطة ، ص 110 .

ذلك في منتصف رمضان 145 هـ / 762 م، وقتل عند موضع يقال له أحجار الزيت لذلك عرف باسم قتيل الزيت، وكانت مدة قيامه بالأمر شهرين واثنى عشر يوماً[34].

لذا فلم تعد المدينة صالحة لاستمرار الحركة بها، ولم يعد الحسين ولا حركته مرغوباً بهم في المدينة، فتوجه إلى مكة في نفس الوقت الذي كانت جيوش العباسيين قد تحركت لكسر هذه الحركة والحفاظ على الشرعية، وتقابل الجيشان الزيدي بقيادة الحسين بن علي، والعباسي بقيادة 'محمد بن سليمان بن علي' في موضع يقال له 'فخ'ذلك الوادي المؤدي إلى مكة والذي يبعد عنه ستة أميال – وقيل ثلاثة أميال – وبعد صراعات شديدة ومساجلات استطاع الجيش العباسي القضاء على الجيش الزيدي، وقتل الحسين بن علي وحزت رأسه لتنتهي بذلك أحد أهم الانتفاضات وأبعدها أثراً في التاريخ، وكان ذلك في الثامن من ذي الحجة عام 169 هـ / 785 م[35].

**العلويين وإعادة التموضع الجغرافى عقب معركة فخ :**

كان لمعركة فخ أبلغ الأثر لدرجة أنه قيل فيها "لم تكن مصيبة بعد كربلاء أشد وأفجع من فخ"[36]، فكانت بعيدة الأثر حيث أن الفارين من هذه المعركة من العلويين كان لكل منهما شأناً خطيراً بعد ذلك حيث فر 'إدريس بن عبد الله بن الحسن' إلى أرض المغرب ليبرهن على وعيه بدرس الجغرافيا ليؤسس دولة الأدارسة وجعل عاصمتها فاس عام 172 هـ / 788 م، ولحق به أخوه 'سليمان بن عبد الله'، و'فر يحيي بن عبد الله' إلى بلاد الديلم في طبرستان ولتكون لهم أدواراً هامة بعد ذلك في التاريخ[37] وفى الحقيقة فقد كان إدريس من أبرز الذين فروا من المعركة، وكان صداعاً مزمناً في رأس العباسيين الذين طالما ما ألحوا على طلبه، لكنه خرج متخفياً ووصل إلى مصر مع أحد الموالي الشجعان البربري الأصل وهو 'راشد' ثم بعد ذلك

---

[34] الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف، 1969م، جـ 4، ص 436، 460؛ ابن الجوزي: المنتظم، جـ 8، ص 64 – 68 .

[35] الأصفهاني: مقاتل الطالبين، جـ 2، ص 450 – 452؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ 4، ص 599 والتي تليها.

[36] سيدة الكاشف: مصر في فجر الإسلام، ص 153.

[37] الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ 4، ص 600 والتي تليها .

اتجه إلى المغرب الأقصى ونزل عند قبيلة وليلي من أعمال طنجة ونزل على 'اسحاق' بن محمد بن عبد الحميد الأوربي' زعيم قبيلة أوربة وبايعوا إدريس وبدأ إدريس في نشاطاته الحربية ولكن مدة حكم إدريس لم تطل حيث كانت الخلافة العباسية له بالمرصاد حيث أن العباسيين لم يتسامحوا في الفتق الذي أحدثه إدريس في المغرب، وبالفعل وحسب الروايات كاد له هارون الرشيد واستطاع أن يوفد له أحد أتباعه ويدعى 'سليمان بن جرير الشماخ' الذي استطاع سم إدريس وتوفي عام 175 هـ / 791 م، وقيل عام 177 هـ / 793 م، بعد أن ترك حملاً من أمة بربرية اسمها كنزة، اتفق راشد مع البربر على انتظار المولود، وما أن وضعت الأمة مولودها حتى سماه راشد إدريس وتعهده بالرعاية وبويع له بالإمارة عندما بلغ أشده عام 188 هـ / 803 م، وهو ابن إحدى عشرة سنة [38] .

أما بخصوص يحيى بن عبد الله الذي نحا منحاً له صله وثيقة أيضاً بالفكر الجغرافى توجه إلى بلاد الديلم، فقد استفحل أمره هناك وأصبح الوضع مقلقاً جداً لهارون الرشيد الذي خشي على شرعيته من ثورة زيدية في بلاد الديلم، لذا استطاع هارون الرشيد أن يعمل الحيلة فأخذ يراسله ويبعث له بالأمان والعهود، بل وكتب له العهد بخطه، وشهد له الفقهاء والقضاة على ذلك ومشايخ بني هاشم، بل وأرسل له الفضل البرمكي، أمام هذا كله إطمأن يحيى وأتى مع الفضل، إلا أنه بعد مدة تغير عليه الرشيد وحبسه في داره وتمكن من الفرار ولكن هارون الرشيد استطاع القبض عليه مرة أخرى، بل وادعت بعض الروايات أنه قتله [39] .

**اليمن وتطور والجغرافيا السياسية لفكر الفاطميين المعارض :**

تقع اليمن فى الركن الجنوبى الغربى من سجن جزيرة العرب وتمثل همزة وصل بين الهند والصين وشرق أفريقيا والمحيط الهندى، كما أن اليمن يشرف على الخليج العربى والبحر الأحمر

---

([38]) ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1983 م، جـ 1، ص 82 – 84، ص 210 – 212 .

([39]) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2007، مصدرة عن طبعة بولاق الأولى ، جـ 4، ص 8 .

وقد أتاح هذا الموقع لليمن نشاطاً واسعاً فى مجال التجارة، وأن تكون اليمن معبراً للتجارة العالمية بين كل من مصر وفارس والشام والحبشة وشرق أفريقيا والهند والصين وبلاد الإغريق وروما [40] لقد كانت اليمن إحدى أبرز المواضع الجغرافية أهمية لدى الفاطميين قبل قيام الدولة كبيرة فى تاريخ التشيع الإسماعيلى، فمنها تم التحضير للمرحلة النهائية للدعوة، وأصل الدعوة الفاطمية كانت اليمن ومن اليمن نفذت إلى المغرب الدعوة، فصاحب دعوة المغرب تعلم على يد صاحب دعوة اليمن وأخذ عنه" [41] .

وفى الحقيقة فقد امتدت أعين المسؤولين عن الدعوة إلى اليمن منذ وقت مبكر، وحاولوا قدر جهدهم أن يجعلوا يد الدعوة الطويلة تصل إلى اليمن، ليس ذلك فقط بل أرادوا أن يجعلوها معسكراً أساسياً من معسكرات الدعوة ، وقد أدرك الفاطميين أن الأماكن البعيدة المتطرفة الوعرة هى الأنسب لهم ، فكانت النتيجة الحتمية هى الذهاب إلى اليمن ، فقد وجد دعاة الإسماعيلية فى بعد اليمن عن مركز الخلافة العباسية عاملاً هاماً لنشر دعوتهم ولتنفيذ مشروعهم الدعوى، ويضاف لهذا البعد الطبيعة الجغرافية المعقدة لبلاد اليمن ، وحسب إحدى النصوص أنهم وقصدوا الأطراف البعيدة التى قد استولى على أهلها الغفلة والجهل والقوة، وقصدوا أهل الترفة والتعصب والشغل بالدنيا والملك..." [42]وينطبق الأمر على اليمن، فالموقع الجغرافى لليمن ساهم فى عزلتها عن التطور المحيط بها فأغرقت اليمن فى الحفاظ على كيانها حتى أصبحت فى شبه عزلة من ركب حياة الإنسان المتطور، وكانت الحتمية المتوقعة أن تقدم الإنسان خارج اليمن،

---

[40] إيمان بيضانى : صنعاء فى كتابات المؤرخين والجغرافيين المسلمين فى القرن الهجرى الرابع، دار الثقافة العربية للنشر، الشارقة، الإمارات، جامعة عدن اليمن، 2001 م، ص 49.

[41] القاضى النعمان: افتتاح الدعوة، تحقيق: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1975، ج2 ، ص 20 .

[42] عبد الجبار الهمدانى: " تثبيت دلائل النبوة " تحقيق : سهيل زكار ، ضمن كتاب أخبار القرامطة ، دار حسان ، الطبعة الثانية ، 1982 .، ص 147.

وتخلف الإنسان ساكنها [43] ، وحسب إحدى النصوص التى علقت على هذا الأمر بقولها عن القطر اليمنى: "أنه كان معدناً للمتمسكين بالتدين والمحتالين على الحق بالتزين" [44] .

**سلمية :**

تقع سلمية فى وسط سوريا فى الجهة الأميل إلى الغرب عند طرف بادية الشام وهى تتوسط حوض سلاسل جبال وهضاب ومرتفعات متباينة فى ارتفاعها، وتكاد تكون منغلقة إلا من ممر وحيد يتجه غرباً نحو وادى نهر العاصى، وهذا الممر هو قناة التصريف الفائض من مياه هذه الحوض [45] وكان اسمها قديما "سلاميس" وهو اسم يونانى [46] وقد أعاد بناءها فى العصر العباسى محمد بن عبد الله بن صالح عندما أخرجه الخليفة الرشيد من بغداد وقال له أرحل عنى وأطلب لنفسك مدينة تبنى بها وتسكن بها، وكان بها أربعة وعشرون سيراً للنصارى فبنى عليها رسوماً، وسكن بها مع عبيده وأخرج أهلها منها وبعث إلى الخليفة ابن عمه ببغداد وقال له إنى قد وقعت فى مدينة من طرف الدنيا، ولكنى أحب عمارتها فتأمر لى بالنداء فى الأمصار والتجار أن يحضروا سوقها – يعنى سلمية – حتى تعمر، فجعل السوق ثلاثة أشهر لايفتر عنه كل يوم، فكان التجار يأتون إليه ويتسوقون فيه، وهى مدينة كثيرة الخيرات وكان التجار إذا أتوها لا يحبون الزوال عنها ويسألون صاحبها أن يسكنوا بها ويأذن لهم فيقيمون ويوجهون بيعهم وعبيدهم يحملون إليهم بضائعهم ويسألون المقام معه، فحصلت سلمية قطائع لأولئك التجار فقال لهم اختطوا فاختط أهل بلخ وأهل مدينة رسول الله وأهل حلب وأهل الرقة وأهل كل ناحية، ولقد آتى الدعاة الإسماعيليين إلى محمد بن عبد الله بن صالح فقالوا له أن ها هنا رجلا بصرياً من التجار يسألك فيما يسألك به هؤلاء التجار فأمرهم أن يطلبوا موضعاً يصلح له وفرح به وأنزله فى

---

[43] محمد متولى، محمود أبو العلا: فى جغرافية شبة جزيرة العرب، جغرافية اليمن الشمالى، الطبعة الثالثة، جـ3 ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1988 م، ص 4.

[44] أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، 2000 ، ص 109.

[45] محمود أمين : سلمية فى خمسين قرناً، دار أسامة للنشر، دمشق، سلمية، 1983 م، ص 9.

[46] عارف تامر: القرامطة بين الالتزام والانكار " دار الطليعة الجديدة ، سوريا ، دمشق ، الطبعة الثانية، 1997، ص 48 .

مجرى المدينة من ناحية سوقها فاشروا له دار أبى فرحة ونزل سلمية كسائر التجار فلما نزل بها زار دوراً كثيرة وهدم وبنى وتأهل وآتى إليه طوائفه ودعاته وأحدث قصراً شامخاً [47] .

على أية حال فقد انتقل القائمين على الدعوة الإسماعيلية إلى سلمية تصبح مقراً أساسياً ومركزياً للدعوة الإسماعيلية فمنها استطاع أن يبث دعاته إلى جميع البلدان سراً، وكذلك كهفا مميزاً لتلك المرحلة الحاسمة ، فقد عاش الإمام الفاطمى هناك على أنه رجل تاجر [48] ، وبالفعل كانت سلمية أصلح موضع يناسب تلك الفترة ، وهنا تتجلى بوضوح إشكالية الدراسة من دور الجغرافيا السياسة فى فهم هذه القضية ، فالمدينة تفى بالغرض من حيث الموقع الجغرافى فحدودها سلاسل جبلية وهضاب ومرتفعات متباينة فى ارتفاعها، وتكاد تكون منغلقة إلا من ممر وحيد يتجه غرباً نحو وادى نهر العاصى [49] ، وكذلك فهى بعيدة عن الرقابة، ولقربها أيضاً من البدو والبادية حيث يسهل الفرار منها [50] ، فضلاً عن أنها مدينة صاعدة ملتقى للتجار فهى مطوقه كثيرة الغرباء ، والغريب فيها لايثير الريبة، أضف إلى ذلك كونها ذات مياه عذبة ومناخ جيد [51]، فاتخذها الإسماعيلية حسب اصطلاحهم دار هجرة [3] .

**الجغرافيا السياسية للمعارضة الفاطمية والمعسكر المغربى :** شكلت بلاد المغرب موضعاً جغرافياً حاضناً للحركات المناوئة للدولة العباسية [52] والسبب في تعلق البربر آنذاك بأى دعوة

---

[47] النيسابورى: استتار الإمام عليه السلام وتفرق الدعاة في الجزائر لطلبه " تحقيق : سهيل زكار ، ضمن كتاب أخبار القرامطة ، دار إحسان الطبعة الثانية 1982 ، ص 115 والتى تليها .

[48] المقريزى: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار تقديم: محمد مصطفى زيادة، دار التحرير عن طبعة بولاق، 1270هـ.، جـ2، ص 19، 105؛ زكار: الفكر الإسماعيلى فى تطوره الأفريقى بحث فى ملتقى القاضى النعمان، وزارة الشئون الثقافية، تونس، 1977 م، ص 37 .

[49] أمين: سلمية، ص 9.

[50] سهيل زكار: الفكر الإسماعيلى فى تطوره الأفريقى بحث فى ملتقى القاضى النعمان، وزارة الشئون الثقافية، تونس، 1977 م ، ص 37.

([51]) أمين: سلمية فى خمسين قرناً، ص 77.

([52]) محمود على مكى : التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، العدد 1-2، المجلد الثاني، 1954 م، ص 97 .

مناوئة للدولة العباسية أنهما كان يشعران دائما بالظلم والافتئات وانهم كثيرا ما شعروا أنهم درجة ثانية ، كان احساسهم الدائم أن أسلموا لكنهم لم ينالوا مميزات الاسلام كما نالها غيرهم من العرب الفاتحين، فلم يتساووا مع العرب لذا كانت نفوسهم تربة خصبة جدا لكافة الدعوات المناونة للسلطة، لذا فكثيرا ما تكررت مشاهدة خروج البربر علي السيادة العربية، ومن الحوادث ذات الدلالات الهامة في ذلك الأمر ما حدث بين العرب والبربر في المراحل الأولي لفتح المغرب، فقد كان هناك أحد أبرز زعماء البربر ويدعى " كسلية بن لمزم" في المغرب الأقصى وكان زعيما لقبيلة أوربه فظفر بهم أبو المهاجر وعرض عليهم الاسلام فأسلم كسيلة واستنقذ ابو المهاجر وأحسن اليه وتبعته قبيلته كلها في دخول الإسلام ولما عُزل أبو المهاجر وقدم عقبه في ولاتيه الثانية أيام يزيد بن عبد الملك (62هـ/681م) وكان عقبة في هذه الفترة يستهين بكسيلة ويستخف به فأمره يوما أن يسلخ شاة بين يدية فدفعها الي غلمانة وقال هؤلاء فتياني وعبيدي يكفلوني إلا أن عقبة ابي عليه ألا أن يتولاها بنفسه وانتهرة فقام كسيلة غضبا وكان كلما دس يده في الشاه مسح بلحيته والعرب يمرون به ويقولون ما هذا يا بربري فيقول هو مفيد للحية إلا أنه شيخ منهم قال لهم "ان البربري يتوعدكم" وبلغ ذلك ابو المهاجر فنهى عقبه عنه وقال له كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألف جبابرة العرب وانت تعمد الي رجل جبار في قومة بدار عزة قريب العهد بالشرك وتصنع به هذا وأشار عليه أن يوثق منه وخوفة فتكة فتهاون عقبة بقوله فلما قفل عن غزواته وانتهى إلي طنبة حرب العساكر إلي القيروان أفواجا حتى بقى القليل معه وسار إلى تهوده فلما نظر اليه الفرنجة طمعوا فيه وراسلوا كسيلة بن لمزم ودوله علي الفرصة فانتهزها وراسل بن عمة ومن تبعهم البربر واتبعوا عبقة وأصحابه حتى اذا تمشوا بتهودة قتلوه هناك هو وعدد كثير من تبقى معه [53].

على أية حال فإن تمرد هؤلاء البربر علي الولاة لم يكن خروجا علي الدين وإنما فيه في التحرر من السلطة الحاكمة والتي فرضت من الضرائب ما لم يفرضة الدين فتعالت أصوات البربر دائما بالانين والتألم ثم بالشكوى إلي الخلفاء العباسيين، ولكن صرخاتهم كانت في كثير من الأحيان

([53]) ابن خلدون : العبر، جـ6، ص 146.

صرخات من واد تبددها المسافات الطويلة التي تفصل بين بلاد العرب والعاصمة المركزية ببغداد[54] لذا فاختيار بلاد البربر لتكون مسرحا لعمليات الدعوة الاسماعيلية كان اختيارا موفقا فالبربر الذين حقدوا علي حكامهم العرب وراموا الخلاص من حكمهم كانوا علي استعداد للترحيب بمخلص مهما كانت خطورة معتقداته ولذلك فلم يتقاعسوا عن الالتفاف حول ابوعبدالله الشيعي الذي أثار في نفوسهم ما انطوت عليه من ميل غريزي للمخاطرة[55]، وكذا كان اختيار قبيلة كتامة ايضا اختيارا ذات بال وأكثر توفيقا من القبيلة التي يصفها ابن خلدون قائلا "هذا القبيل من قبائل البربر وأشدهم بأسا وقوة وأطولهم باعا في الملك عند نسابة البربر[56] فعرفت هذه القبيلة بأنها اكثر القبائل عددا وأصعبها مراسا اذ كانت تسكن جبال أوراس الوعرة في جوب افريقية وهي البلاد الممتدة من طرابلس الغرب من طنجة[57] فهي اذا تتميز بطبيعة جبلية وعرة ويبعدها عن مركز السلطان بمدينة القيروان وهذه الطبيعة الجغرافية والبعد فرضا عليها عزلة فكرية وعلمية[58] فقد عاشت كتامة حالة من الفراغ الفكري يسر مهمة الداعي الشيعي[59] وطبقا للرؤية الجغرافية للقائمين على الدعوة الإسماعيلية عن التوجيه للبيئات الاقل تحضرا والبعيدة عن المراكز الحيوية مثل منقطة كتامة ليتخذ من الوضع الاجتماعي سببا للاحتجاج علي السلطة العباسية[60].

**المكتسبات الجغرافية الأخرى ودورها فى نجاح الفاطميين فى الإستيلاء على ممتلكات القوى السياسية فى المغرب :**

---

[54] على حسنى الخربوطلي: أبو عبدالله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية " المطبعة الفنية الحديثة ، 1972.، ص 38.

[55] محمود اسماعيل: محنة المالكية في افريقية المغربية "رؤية اجتماعية" بحث منشور في كتابة مغربيات، ص 61.

[56] العبر، جـ6 ، ص 148.

[57] عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر "التاريخ السياسي" مكتبة الحرية الحديثة، 1985 م، ص 89.

[58] بوبة مجاني: المدرسة الفكرية الاسماعيلية في المرحلة الغربية، بحث في حولية التاريخ الاسلامي والوسيط التي يصدرها سينمار التاريخ الاسلامي والوسيط في التاريخ، كلية الآداب جامعة عين شمس، مصر العربية للنشر والتوزيع، القسم العربي 2000 –2001 م، المجلد الأول – جـ1، ص 11.

[59] بوبة مجاني: المدرسه الفكرية الاسماعيلية، ص 22.

[60] بوبة مجاني: المدرسة الفكرية الاسماعيلية، ص 11.

وقعت أنظار داعية الشيعة الفاطميين فى بلاد المغرب أبو عبد الله الشيعى على علي مدينة تازروت لتصبح مقرا جديدا له، ولقد كان اختياره لمدينة تازورت اختيارا ذا مغزى، فقد قرر ذلك عقد اتصال تم مع الحسن بن هارون وهو كبير المدينة سمح له بالانتقال اليها والاستقرار عنده والدخول في حمايته[61] .

وكيفما كان الأمر فقد رحل أبو عبدالله الشيعي الي تازروت وهناك تلقاه من تشيع واستضافوا أصحاب واحتفوا بهم وقاسموهم أموالهم، واستضاف الحسن بن هارون أبو عبد الله الشيعي في بيئته وبذل الحسن بن هارون من ماله وأموال خاصته وتوافد الناس علي أبو عبدالله الشيعي وجاءته المعونات والتبرعات من كل النواحي فكان يرسل الكثير منها الي ضعفاء شيعته الموجودين في ايكجان وبذلك تطور أمر أبو عبدالله الشيعي تطورا كبيراً[62] وحسب تعبير ابن خلدون فاعتز وامتنع وعظم أمره"[63] كشكل من أشكال تأثير الجغرافيا السياسية للموضع الجديد على حركته وبذلك أيضا يبدأ أبو عبدالله الشيعي دورا جديدا في تاريخ حركته[64].

وبهذه الهجرة الي تازروت أراد الشيعي ممارسة نوع من أنواع التدليس حيث أراد أن يتشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم حينما هاجر الي المدينة[65] ومهما يكن من أمر فقد تطورت أمر الدعوة تطورا كبيرا، فقد استطاع أبو عبدالله استمالة كبار الرؤساء في بعض القبائل وبدخولهم للدعوة دخلت قبائلهم أيضا بالتبعية [66] وفي تازروت أتت الكثير من القبائل إلي أبو عبدالله الشيعي ودخلوا في أمرة ومن لم يأتي شن الغارات عليه، ولم يكن يمر يوم إلا وتدخل رقعة جديدة في خريطته السياسية ودخل الكثير من الناس في دعوته نتيجة هذه المكتسبات وبعضهم دخل فيها بالإجبار [67] .

---

[61] النعمان: افتتاح الدعوة ، ص 86 والتى تليها .

[62] النعمان: افتتاح الدعوة ، ص 87 .

[63] العبر، جـ4، ص 33.

[64] عادلة الحمد : قيام الدولة الفاطمية في بلاد أفريقية والمغرب " دار ومطابع المستقبل ، مصر ، 1980، ص 126.

[65] عبد الحميد: تاريخ الغرب الكبير، جـ2، ص 555 .

[66] النعمان: افتتاح الدعوة، ص 110 والتى تليها.

[67] افتتاح الدعوة ، ص 110.

وفى ذات المنحى فقد تطورت انتصارات أبو عبدالله الشيعي تطورا خطيرا واستفحل امرة لدرجة أن القائم علم السلطة في افريقيا "زيادة الله الأغلب" قرر الهروب من المواجهة ومغادرة رقادة، وقد عبر ابن الخطيب عن ذلك قائلا " فلما اتصل الخبر برقادة إلي زيادة الله علم أن الأمر فسد فسادا لا يقبل إلاصلاح وأن الدولة قد انقرضت[68] فقرر آنذاك الهروب وترك رقادة لتواجه مصيرها، وفي الحقيقة فلم تكن هذه هي المرة الأولي التي قرر فيها الأمير الأغلبي الهروب ففي أثناء انتصارات الشيعي وخصوصا عندما دخل مدينة باغية بعد تأمينة أهلها فعظم غم زيادة الله بذلك واستشار أحد خواصة في ذلك الأمر وكان يدعى ابن الصائغ فقال له "أرحل الي مصر سرا واستخلف علي افريقية قائدا تجعل إليه أمر العساكر وتترك له الأموال وبالفعل أوشك زيادة الله علي التنفيذ بل وأمر بشراء خمسمائة جمل لرحيله إلا أنه ظهر له خطأ ذلك الرأي وخشى قيام الناس عليه وثورتهم به فأمسك، الا أن أحد خواصه ويدعى ابراهيم بن حبشي[69] قد شعر بما يهم به من الهروب فتعرض له حتى أدخله قصره ، والحديث عن النية فى الفرار إلى مصر لا يخلو أيضاً هنا من فكر له صلة بالبعد الجغرافى الأمر الذى يتماس بشكل كبير مع موضوع الدراسة .

وفى تلك الأحيان فقد اكتسب أبو عبد الله الشيعى معسكراً جغرافياً غاية فى الأهمية وهى مدينة الأربس[70] التى سقطت فى يده وقد كانت ذات موضع إستراتيجى غاية فى الأهمية فهي مفتاح الدخول لرقادة من القيروان، لذا فقد أدرك زيادة الله عظم واتساع الفتق وانه لم يعد قابلا للرتق فقرر الهروب، وكان ابن الصائغ وزير الأغلبى يهون له الأمر ويطفي له الخبر ويكذبه له ويحاون أن يقنعة أنهم هم الذين انتصروا علي الشيعي[71] وتغير موقف ابن الصائغ الذي أشار علي ابن الأغلب قديما بالهروب أشار عليه الأن بالبقاء فقال له العساكر تجتمع اليه فأظهر العطاء يأتك الناس وليس

---

[68] أعمال الإعلام ، جـ1، ص314 .

[69] ابراهيم بن حبش هو الذي ولاة زيادة الله علي قتال أبو عبدالله الشيعي منذ (291هـ/ 903 م)؛ انظر ابن عذاري: البيان المغرب، جـ1، ص137 .

[70] ابن عذاري: البيان المغرب، ص 143 وما بعدها .

[71] ابن عذاري: البيان المغرب، جـ 1، ص 147.

يجسر الشيعي أن يقتحم عليك [72] وحاول ابن الصائغ تنفيذ الأمر بالعطاء للجند والناس، وحاول حشد الصفوف لمقابلة الشيعي، ومن علي أبواب مدينة رقادة نادي قائلا "من أراد اللحاق وجزيل العطاء للفارس عشرون دينار وللراجل عشرة دنانير فليلحق بقصر الأمير، ولكن هذه السياسة أتت عكسية، فلما سمع الناس ذلك بدر اليهم سوء الظن وعلموا أن الدائرة كانت علي أصحاب زيادة الله فهاج الناس وماجوا وفر الكثير من رقادة وخصوصا الجنود المقيمين فيها، فلما رأي زيادة الله ذلك أصر علي الرحيل[73] فاخذ في جمع الأموال والنفائس من ممتلكاته والسلاح وحمل ما يعز عليه من جوريه وأمهات أولاده، وانتخب من عبيدة الصقالبة ألف خادم ووضع علي وسط كل واحد منهم ألف دينار خوفا أن يلحق به أحد ويستولي علي الأحمال ثم شد باقي الأموال علي الأحمال فلما أذن المؤذن بصلاة العشاء خرج من رقاده واتبعه الناس قوما بعد قوم بالمشاعل فخرج من رقادة متوجها إلي مصر ومعه وجوة رجالة وفتيانه وعبيده[74]، وبهروب زيادة الله من رقادة ينتهي بذلك حكم دولة الأغلبية في افريقية[75].

ويلخص ابن حماد الأمر قائلا " ثم وطئ – أبو عبدالله الشيعي – افريقية عنوة وكان زيادة الله أخر ملوك بنى الأغلب من عمال بني العباس وأمرائهم عليها، فلما فل الشيعي علي ملك بين الأغلب جموعة وملك عليه جميع ملكة، شمر أزياله وضم أثقاله واتخذ الليل حملا وسار من رقادة قبيلا محتملا وكان ذلك (296هـ / 908م)[76].

وما إن علم الناس بهروب زيادة الله حتى أسرعوا الي رقادة وانتهبوها واخذوا من أموال بين الأغلب وقصورهم ما لايحاط به وصفا[77] حتى أنهم كانوا ينتزعون حديد الأبواب ويحملو الأسرة والماعون

---

[72] النعمان: افتتاح الدعوة، ص 233.

[73] ابن عذاري: البيان المغرب ، ص 147.

[74] النعمان: افتتاح الدعوة ، ص 234 .

[75] ابن الخطيب: أعمال الأعلام ، ص314 .

[76] أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم " تحقيق : التهامي نصرة ، عبدالحليم عويس ، دار الصحوة ، القاهرة ، 1401 هـ ، ص 38.

[77] ابن عذاري: البيان المغرب، جـ1، ص 148 والتى تليها .

وتجمع اليها الزعار من الطرقات فلم يبقى سلب ولا نهب إلا برقادة[78] ويصور القاضي النعمان مشاهد السلب والنهب قائلا " فأصبح الصبح يوم الاثنين ففاض أهل القيروان والناس من كل مكان الي رقاده ينتبهون ما بها ويحملونه فيلقى بعضهم بعضا فيسلب القوى الضعيف وسابت أهل افريقية، وشغل أهل الدعارة بنهب رقادة فانتهبوا ما في قصورها مما خلفة زيادة الله وما في دور رجالة دور سائر الناس الأنفس فالأنفس والاعلي فالأعلي الي أن لم يبق شئ ما علي وجه الأرض الا انتهبوه، مصاروا الي البحث عن المطامير وانتزاع حديد الأبواب وحمل الأسرة وثقيل الخرثي (أي أردأ المتاع) وأقاموا كذلك ينتهبون الي أن دخلت خيل أبو عبدالله ، ثم خالط الخوف من تخلف من بنى الأغلب وكانوا خلقا كثيرا أكثرهم في حالة الفقر والمسكنة وتخلف كثير من وجوههم عن زيادة الله وجماعة من عبيدة ورجاله وأهل الحرب واصحاب الدووابين، وكان أكثرهم برقادة، فتفرقوا وكان معظمهم بالقصر القديم وما حولة من الأرباض، فانضم من كان حولة اليه ثم خاف الوجوه الذين كانوا فيه فكسروا أقفال أبوابه ليلة الثلاثاء وخرج عامتهم للقيروان إلي نواحي البلدان فاختفوا فيها..، وشغل نهب رقادة كل مفسد[79] .

ما إن طارت الاخبار الي ابو عبدالله الشيعي بهروب زيادة الله وانقراض أمر الاغالبة حتى خرج ابو عبد الله الشيعي مباشرة الي موضع يسمى "وادى الرمل" ومن هناك أرسل احد قادته ويدعى 'غزوية بن يوسف الملوسي' بألف فارس لضبط مدينة رقادة وتحصين ما أدرك بها من الأموال، وأرسل معه 'حسن بن خنزير' وأمرهم بأن لا يتعرضوا لأحد وبالفعل دخلوا رقادة فوجدوا الناس ينتهبون الطعام، ولما رأوا الجيش فزعوا فأمنوهم، ولم يتعرضوا لهم وحاولوا ضبط الأمور الي أن جاء يوم السبت 1 رجب (296هـ/908م) وهو اليوم الذي دخل فيه ابو عبدالله الشيعي مدينة رقادة[80] .

وفى ذات السياق فقد نجح داعية الفاطميين فى المغرب أبو عبد الله الشيعى من دخول مدينة تاهرت عاصمة الدولة الرستمية فدخلها بالأمان ولكنه قتل من بها من الرستميين وأرسل رؤوسهم

---

[78] الداعي ادريس: " تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب " وهو قسم من كتاب عيون الأخبار تحقيق محمد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1985 ، ص 137.

[79] النعمان: افتتاح الدعوة، ص 236 والتى تليها.

[80] النعمان: افتتاح الدعوة، ص 243 .

الي أخيه ابي العباس وطيف بها في القيروان فنصبت علي باب رقادة وترك عليها رجالا من قبلة ،واستطاع بذلك إسقاط الدولة الرستمية في تاهرت[81] وفى إطار طرحنا حول الجغرافيا السياسية قد كان لسقوط تاهرت أثر كبير فقد كانت المدينة ذات أهمية وبريق جعلها تستحق أن يطلق عليها لقب "عراق المغرب"[82] فضلا أنه باسقاطها سقطت بذلك قوة سياسة هامة وصعبة وهي قوة الرستميين التي كانت من الممكن أن تشكل شوكة قوية في جنب الدولة الوليدة.

**مصر وتطور الجغرافيا السياسية للفكر الفاطمى :**

بدأ الحكم الفاطمى فى المغرب من الخليفة الفاطمى الأول عبيد الله المهدى (296–322هـ/908–933م)، وجاء بعده الخليفة الثانى ابنه أبو القاسم الذي تلقب بالقائم (سنة 322–334هـ/933–945م)، ثم خلفه الخليفة الثالث ابنه أبو الظاهر إسماعيل الذي تلقب المنصور (334–341هـ/945–952م)، والذي تولى الخلافة في الثانية والعشرين من عمره وأسس مدينة المنصورية (337هـ/948م) على مقربة من القيروان فصارت عاصمة للدولة الفاطمية، وجاء بعده ابنه الخليفة المعز لدين الله الفاطمى (341–265هـ/952–975م) ، بطبيعة الحال فقد كان الموقع الجغرافى لمصر يمثل واسطة العقد فى العالم الإسلامى ، كما كان يمثل أيضاً واسطة عقد أحلام الفاطميين ، وقد آمن الفاطميين أن بلاد المغرب غير مناسبة لهم ولا لمستقبلهم السياسى ولا طموحهم الدعوى سواء من النواحى الجغرافية أو البشرية أو المقدرات المالية ، ولذلك اتجهت الأنظار مبكراً صوب مصر حالمين أن تكون مقر للدعوة والدولة ، وهى الموطن الوحيد القادر على منافسة الدولة العباسية عاصمة الخلافة السنية فى العالم [83] .

وكيفما كان الأمر فقد أرسل الفاطميون جيشاً لغزو مصر بقيادة حباسه بن يوسف في شوال سنة (297 هـ / 909 م) وانتصر على جيش العباسيين الذي كان قائدة أبو النمر أحمد بن

---

[81] ابن عذاري: البيان المغرب، جـ1، ص 153 .

[82] عبد الحسيب طه حميدة: أدب الشيعة إلى نهاية القرن الثاني الهجري ، مطبعة السعادة ، مصر، الطبعة الثانية 1968، ص 412 .

[83] محمد جمال الدين سرور: تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة ، 1979 ، ص59.

صالح الذي أرسل من قبل الخليفة المقتدر(311-321 هـ / 923-933 م) وكانت هذه الحملة باكورة حملات عسكرية عدة[84] أرسلها الخليفة الفاطمى الأول فى بلاد المغرب عبيد الله المهدي [85] ثم أرسل حملة ثانية يقودها ابنة القاسم سنة (301 هـ / 917 م) الذي استطاع السيطرة على الاسكندرية والفيوم[86] ، ويمكن أن نفهم مدى الأعمية الكبيرة التى حازها هذا المشروع التوسعى فى فكر الخليفة الفاطمى الذى لم يتورع عن إرسال إبنه فى آتون الحرب لأجل الحصول على هذا المكسب السياسى الكبير وهو غزو مصر .

ثم أرسل حملة ثالثة عن طريق البحر سنة (302 هـ / 914 م) يقودها قائده الشهير حباسة بن يوسف استطاعت أن تستولي علي مدينة الاسكندرية فى نفس العام، ثم تتحرك نحو الصعيد، ولكن الدولة العباسية نجحت فى هزيمتهم وأجبروهم على الفرار إلى المغرب مرة أخرى [87].

ورغم هذا فلم يتخل الخليفة الفاطمى الثاني القائم بأمر الله عن سياسته الرامية لغزو مصر، فأرسل إليها جيشاً آخر في أواخر عام (323هـ/924م) ووصل هذا الجيش إلى مدينة الإسكندرية في أوائل عام (324هـ/925م)، وقد انضم إليه بعض زعماء مصر ، فأرسل الإخشيد قوة عسكرية كبيرة استطاعت أن تهزم جند الفاطميين، وعادوا مرة أخرى منهزمين إلى المغرب[88].

على أية حال فلم تتوقف سياسة الخلافة الفاطمية فى إرسال الحملات ، لقد شكل غزو مصر محور كبير فى معتقدات وأفكار وأحلام الفاطميين ، لترسيخ وجودهم بالأهمية الكبيرة لمصر فضلاً عن قربها من بلاد الشام والحجاز، فازداد تطلعهم وترقبهم لهذا الأمر ، ومن هنا فقد أخذت الدولة الفاطمية فى المغرب منذ عام 335 هـ / 946 م تتفرغ لهذه المهمة، ورأت أن

---

[84] المقريزي: الخطط ، جـ 1، ص 74.

[85] المقريزي: الخطط ، جـ 1، ص 74.

[86] المقريزي: الخطط ، جـ 1، ص 74، 75.

[87] المقريزي: الخطط ، جـ 1، ص 74، 75.

[88] المقريزى، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطمين الخلفا، تحقيق: د/ جمال الدين الشيال، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د. ت ، جـ1، 74.

تعزز جيشها بكافة الوسائل حتى تضمن لنفسها النصر[89]، وفى واقع الأمر فقد كان المعز لدين الله مستعداً غاية الإستعداد لهذه الخطوة ، فقام بحفر الآبار في طريق مصر وأقام المنازل على رأس كل مرحلة [90]، وعهد إلى جوهر الصقلي بقيادة الحملة التي أعدها لفتح مصر، وخرج ليودعه يوم رحيله من القيروان في ربيع الأول عام (358هـ/969م)، ووصل جوهر إلى برقة ثم تقدم إلى الإسكندرية فدخلها بدون أى مقاومة ، وكيفما كان الأمر ففى نهاية المطاف تمكن من تحقيق هدفه وحلم الفاطميين القديم بغزو مصر ودخولها سنة (358هـ/968م)، بقيادة قائده الشهير جوهر الصقلي ، وبذلك فقد كانت الجغرافيا السياسية عاملاً حاضراً ورئيسياً فى رؤية الفاطميين بالإمتداد إلى مصر والإستيلاء عليها وانتزاءها من ممتلكات الدولة العباسية .

وفى الأخير فإن التفسير الجغرافى كان إحدى النظريات التاريخية الهامة التى يمكن من خلالها تفكيك العلاقة بين المعارضة العلوية والفاطمية من جانب والدولة العباسية من جانب آخر ، فالصراع لم يكن فقط صراع سياسى أو فكرى ، بل كان أيضاً صراع على الجغرافيا ، وهو صراع حسمته أيضاً الجغرافيا فى العديد من مراحله ، لتثبت الجغرافيا السياسية أنها كانت عاملاً رئيسياً من عوامل حسم هذه الصراعات السياسية والعسكرية إبان تلك الفترة .

---

[89] بوبة مجاني: المدرسة الفكرية الإسماعيلية ، ص 30.

(90) المقريزى، اتعاظ الحنفا، جـ1، 96.

## قائمة المصادر والمراجع

**أولاً : المصادر العربية المطبوعة :**

**إدريس عماد الدين " الداعي إدريسي بن الحسين بن عبدالله الأنف " (ت 872هـ / 1467م)**
" تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب " وهو قسم من كتاب عيون الأخبار تحقيق محمد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1985 .

**الأصفهاني " عماد الدين محمد بن حامد الأصفهاني" ت (597هـ/ 1200 م)**
تاريخ دولة آل سلجوق، اختصار الشيخ الإمام الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني، دار الآفاق الجديددة، بيروت، الطبعة الثالثة 1980 .

**–ابن بطوطة " أبو عبدالله محمد بن إبراهيم اللواتي" ت (779هـ / 1377م)**
تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المطبعة الأزهرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1928م.

**–البغدادي " أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب " ت (463هـ/ 1071م)**
تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.

**–ابن تغري بردي " جمال الدين أبي المحاسن يوسف " ت (874هـ/ 1469 م)**
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2008، مصورة عن الطبعة البولاقية الأولى .

**–ابن الجوزي " أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي" ت (597هـ/ 1200 م)**
المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا وزميله ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1992م.

**ابن حماد " محمد بن علي " (ت 628 هـ/ 1230م )**
" أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم " تحقيق د/ التهامي نصرة ود/ عبدالحليم عويس ، دار الصحوة ، القاهرة ، 1401 هـ.

**الحموي " شهاب الدين ياقوت " ت (625هـ / 1227م)**
معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، 1977.

**–ابن خلدون عبدالرحمن بن محمد" ت (806هـ/ 1406م)**

العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2007، مصدرة عن طبعة بولاق الأولى.

**-الذهبي" شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان " ت (748هـ/ 1347 م)**

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : د/ عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت والتي صدرت من 1990، 2000 .

**-الطبري " أبو جعفر محمد بن جرير" ت (310 هـ/ 922 م)**

تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف، 1969م.

**ابن عذاري المراكش (ت نهاية القرن السابع الهجري)**

" البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب " دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة الثالثة، 1981.

**أبي الفدا " عماد الدين إسماعيل " ت (732هـ/ 1331 م)**

المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، د. ت.

**-ابن كثير " عماد الدين أبي الفداء إسماعيل" ت (774هـ/ 1372 م)**

البداية والنهاية، تحقيق : د / عبدالله بن عبدالمحسن، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1998م.

**-المقدسي" شمس الدين أبو عبدالله " ت (388هـ/ 998 م)**

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، 1877.

**-المقريزي " تقي الدين أحمد بن علي" ت (845هـ/ 1441 م)**

اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطمين الخلفا، تحقيق: د/ جمال الدين الشيال، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د. ت.

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار تقديم: د/ محمد مصطفى زيادة، دار التحرير عن طبعة بولاق، 1270هـ.

**-النعمان " القاضي النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون" ت (363هـ/ 973 م)**

افتتاح الدعوة، تحقيق: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1975.

**النيسابوي " أحمد بن إبراهيم " (توفي في عهد الحاكم بأمر الله)**
" استتار الإمام عليه السلام وتفرق الدعاة في الجزائر لطلبه " تحقيق د/ سهيل زكار ، ضمن كتاب أخبار القرامطة ، د/ إحسان الطبعة الثانية 1982 .

**الهمداني" القاضي عبدالجبار" (ت 415 هـ/ 1024م )**
" تثبيت دلائل النبوة " تحقيق د/ سهيل زكار ، ضمن كتاب أخبار القرامطة ، دار حسان ، الطبعة الثانية ، 1982 .

## ثانياً : المراجع العربية والمعربة :

**إبراهيم الحيدرى** : تراجيديا كربلاء " سوسيولوجيا الخطاب الشيعي " دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى ، 1999م.

**إيمان بيضانى** : صنعاء فى كتابات المؤرخين والجغرافيين المسلمين فى القرن الهجرى الرابع، دار الثقافة العربية للنشر، الشارقة، الإمارات، جامعة عدن اليمن، 2001 م .

**أيمن فؤاد سيد**: الدولة الفاطمية تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، 2000.

**بنسالم حميش**: التشكلات الأيدلوجية في الإسلام " الاجتهادات . التاريخ" ، دار المنتخب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1993 .

**حسن عثمان** : منهج البحث التاريخى ، دار المعارف ، الفاهرة ، د.ت ، ص 32 والتى تليها.

**خالد علال** : التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي – خلال العصر الإسلامي – مظاهر– آثاره– أسباب – علاجة ، دار المحتسب، 2008.

**سعد زغلول عبد الحميد** : تاريخ دول الأغالبة والرسمستين ، وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين " وهو الجزء الثاني من موسوعة تاريخ المغرب العربى، منشأة المعارف بالاسكندرية،1979.

**سيدة الكاشف**: " مصر في فجر الإسلام " الهيئة العامة للكتاب ، 1999 .

**عادلة الحمد** : " قيام الدولة الفاطمية في بلاد أفريقية والمغرب " دار ومطابع المستقبل ، مصر، 1980.

**عارف تامر**: القرامطة بين الالتزام والانكار " دار الطليعة الجديدة ، سوريا ، دمشق ، الطبعة الثانية، 1997 .

**عبد الحسيب طه حميدة** : " أدب الشيعة إلى نهاية القرن الثاني الهجري ، مطبعة السعادة ، مصر، الطبعة الثانية 1968.

**عبد المنعم ماجد** : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر "التاريخ السياسي" مكتبة الحرية الحديثة، 1985.

**على حسنى الخربوطلي**: " أبو عبدالله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية " المطبعة الفنية الحديثة ، 1972.

**محمد حجازى محمد** : الجغرافيا السياسية ، القاهرة ، 1996 .

**محمد جمال الدين سرور**: تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة ، 1979 .

**محمد رجب النجار**: حكايات الشطار والعياريين في التراث العربي ، عالم المعرفة . الكويت . 1981

**محمد فياض** : التشيع الشعبى فى العراق ، دار روافد للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2016 .

**محمد متولى، محمود أبو العلا**: فى جغرافية شبة جزيرة العرب، جغرافية اليمن الشمالى، الطبعة الثالثة، جـ3 ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1988 م .

**محمود أمين** : سلمية فى خمسين قرناً، دار أسامة للنشر، دمشق، سلمية، 1983 م .

**ثالثاً :المراجع المترجمة :**

**اسحق النقاش**: شيعة العراق، ترجمة: عبدالإله النعيمي، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا، بيروت، الطبعة الأولى، 1996.

**جيمس فيرجريف** : الجغرافيا والسيادة العالمية ، ترجمة : على رفاعة الأنصارى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1956 .

**ماسنيون** : الآم الحلاج شهيد التصوف الإسلامي ، ترجمة الحسين حلاج ، قدمس للنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الأولى 2004 .

**رابعاً : الدراسات والبحوث :**

**بوبة مجاني:** المدرسة الفكرية الاسماعيلية في المرحلة الغربية، بحث في حولية التاريخ الاسلامي والوسيط التي يصدرها سينمار التاريخ الاسلامي والوسيط في التاريخ، كلية الآداب جامعة عين شمس، مصر العربية للنشر والتوزيع، القسم العربي 2000 –2001 م، المجلد الأول – جـ1 .

**سهيل زكار:** الفكر الإسماعيلى فى تطوره الأفريقى بحث فى ملتقى القاضى النعمان، وزارة الشئون الثقافية، تونس، 1977 م .

**عبدالجبار ناجي :** ثورة البساسيري في بغداد 447– 451هـ/ 1055– 1059، بحث منشور في مجلة كلية الآداب – جامعة البصرة، السنة الرابعة، العدد 5 ، د. ت.

**محمود اسماعيل:** محنة المالكية في افريقية المغربية "رؤية اجتماعية" بحث منشور في كتابة مغربيات ، د.ن ، د.ت .

**محمود على مكى :** التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، العدد 1–2، المجلد الثاني، 1954 م، ص 97

**خامساً : الرسائل العلمية :**

**مجدي سمير إبراهيم :** الدور الاجتماعي للشيعة في العراق في عصر سلاطين السلاجقة (447– 590هـ/ 1050– 1193م) رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية دار العلوم – جامعة القاهرة 2007م.

**هاشم عيسى :** الحياة الاجتماعية والفكرية في العراق منذ 334 هـ حتى نهاية القرن الخامس الهجري ، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية دار العلوم جامعة القاهرة ، 1995 .